رئاسة الجمهورية الفرنسية
قسم الاعلام

يعتمد فقط ما يلقى
يحظر النشر قبل الإلقاء

خطاب السيّد جاك شيراك
رئيس الجمهورية الفرنسية
في
الجامعة الفرنسية بمصر

****

مصر - شروق

الخميس 20 أبريل 2006

السيّد الرئيس، سيّدتي،
السيّدة والسادة الوزراء،
سيّداتي سادتي،

إنه لشرف كبير لي ومدعاة سرور أن ألقاكم هنا هذا الصباح لادشن معكم يا سيادة الرئيس، الجامعة الفرنسية في مصر.

هذه اللحظات التي نتقاسمها هي وليدة لقاء : لقاء تراث وطموح.

أما التراث، فلا يقدّر بثمن : قرنان من الحوار والتبادل بين أمّتين عريقتي الثقافة، قرنان نسجا بين شعبينا روابط القلب والفكر.

وأما الطموح فعظيم : مواجهة تحدّيات العالم المعاصر عن طريق تأهيل نخب المستقبل في هذا القرن الحادي والعشرين المُعَولم الذي يرتسم أمام أعيننا.

إن ما راهنّا عليه سوياً منذ سنوات، لننشر هنا معارف زمننا باللغة الفرنسية، أصبح اليوم حقيقة. هذا الإنجاز المشترك الذي تحقّق في مدينة شروق الجديدة، رمز مصر في صيرورتها التي تحملونها بشجاعة وعزم، يشهد على الثقة نفسها بالمستقبل، والنظرة نفسها للعالم، والرؤية نفسها للحوار الذي لا بد منه بين الثقافات.

وإن تمكنت الجامعة الفرنسية في مصر من أن تبصر النور، فهي تدين بذلك لكم أولا يا سيادة الرئيس. لقد آمنتم منذ البداية بهذا التعبير الجديد عن الصداقة المصرية الفرنسية. وإنه لمن المنصف أن نشيد بكم لأجل ذلك وأن نعرب لكم عن عرفاننا بالجميل.

كما أنها تدين بذلك للأصدقاء المصريين الذين آمنوا بهذه المغامرة العظيمة والرائعة، وهم كثر. اسمحوا لي أن أحيي بنوع خاص السيّد سمير صفوت سفير مصر سابقاً في باريس ورئيس مجلس القيّمين، ومعالي الوزير أحمد ماهر الذي تسلّم الشعلة من بعده، والسيّد علي الحفناوي الذي كان وقتها مديراً لنادي الأعمال المصري الفرنسي، والسيّد نجيب

ساويرس الذي كان دعمه المالي حاسماً. لقد حشدوا طاقاتهم وبذلوا جميعا كنوزاً من الصبر. وأودّ أن أعرب لهم هنا من صميم القلب عن عميق امتناننا.

كما أودّ أن أشكر رئيسة الجامعة السيّدة تهاني عمر. لقد نجحت في تشكيل وتنشيط فرق عالية المستوى أتاحت للجامعة الجديدة أن تجد مكانتها بسرعة وأن تنخرط في التقاليد الجامعية المصرية العريقة.

كذلك قدّم عدد من الشركات الفرنسية من بينها فانسي وألكاتيل وتاليس وتوتال، دعماً قيّماً لهذا المشروع. لولا هذه الشركات لما تحقق شيء وهي تستحق أن نقرّ بفضلها.

تشمل الجامعة الفرنسية في مصر اليوم ثلاث كليات تتطلّع إلى تكنولوجيات المستقبل. وهي كفيلة بأن تلبي احتياجات اقتصاد في غمرة التحديث في عالم يزداد شمولاً.

يسعدني أنّ الجامعة الفرنسية في مصر قد استطاعت منذ البداية ان تنسج شراكات مع أعرق المؤسسات الفرنسية. هذه الشراكات المصرية الفرنسية تمنح طلاّب الجامعة الفرنسية في مصر ميزة كبيرة. فهم يحصلون في نهاية دراساتهم على شهادة مزدوجة فرنسية ومصرية. ولا شكّ أنّ الجامعة الفرنسية في مصر، إذ تتطلّع بحزم نحو تكنولوجيات المستقبل، ستكون مثالاً يُقتدى به في الشرق الأوسط.

*

* *

السيّد الرئيس، السيّدات والسادة، تنخرط الجامعة الفرنسية في مصر ضمن تقليد عريق من التعاون والصداقة بين بلدينا.

فمنذ مائتي عام، ما انفكت أنظارنا تتلاقى، وما فتئنا نسائل بعضنا البعض ونحمل ثقافتينا على التحاور.

وما فتئ حبّ فرنسا في مصر والولع بمصر في فرنسا، وقد اتخذا أشكالاً مختلفة، يلقيان أضواء التقدير والإعجاب لا بل الافتتان المتبادل على التاريخ الغنيّ لعلاقاتنا الثقافية.

ويسرني بنوع خاص أن يتجسّد هذا الميل الطبيعي اليوم في مؤسّسة مكرّسة لتكوين الشباب. إنه لمثال ورمز لحوار الثقافات الذي نصبو إليه.

قد يبدو هذا الحوار أمراً عادياً بالنسبة لنا، نحن الذين ما برحنا نواظب عليه بين ضفتي المتوسّط. لكن كلّ شيء يدلّ على أن هذا الحوار واجب ملح في عالمنا اليومّ.

فمع ما اتّفق على تسميته بالعولمة، دخلت الشعوب والثقافات والحضارات في حال تفاعل دائم. كلّ شيء يُعرَفُ في لحظة في كلّ أنحاء المعمورة. والمبادلات على كافة أنواعها تتكثّف باضطراد. الهويّات تواجه الغيرية باستمرار، في عملية اختلاط لم تتهيّأ لها معظم الشعوب، لا من خلال تاريخها ولا من خلال تربيتها.

وتحمل هذه الحركة الهائلة طيّها إمكانيات تقدّم استثنائية للبشرية التي تكتشف أخيراً وحدة المصير والقيم. لكن هذه الحركة تحمل أيضا مخاطر جديدة. والتواصل ليس دائماً مرادفاً لفهم أفضل. فالشعور بفقدان المعالم والخوف أمام البعد اللامتناهي للعولمة، قد يعزّزان الانكفاء على الهوية والتشنّج. وإذا لم نَتَوَخَّ الحيطة، فإنّ عدم الفهم قد يغذي التعصّب، وقد يؤجّج الجهلُ مشاعر الكراهية ورفض الآخر.

لذا، تقع على عاتقنا في هذا العالم الجديد الذي سيكون عالم أولادنا، مسؤولية جوهرية تقضي بتنظيم الحوار بين الشعوب والمعتقدات والثقافات في روح من الانفتاح والاحترام.

وامام خطر النمطية، لا يجب أن يكون التنوّع الثقافي عامل انقسام بين الناس، بل أن يكون على العكس شهادة لامعة عن العبقرية البشرية. في الوقت الذي ما فتئت أقدار الشعوب تتشابك، فإن "صدام الحضارات" المزعوم – والذي أسميته في الرياض "صدام الجهل" – ليس قدراً محتوماً. فالتسامح واحترام الآخر وخصوصيّته، والتربية والثقافة وكذلك التأكيد على القيم الأنسيّة تشكّل جميعها أكثر من أي وقت مضى، قاعدة للسلام والإثراء المتبادل والتقدّم.

إن القيم الإنسانية وفي طليعتها الحرّية والديمقراطية هي قيم عالمية، لكن يجب أن تنبع من الداخل وأن تُكيّف حسب الظروف الوطنية وأن تُطبّق حسب وتيرة كلّ بلد. ويشكّل التقدّم الاقتصادي والاجتماعي أفضل وسيلة لتفتّحها، كما أنه قد يكون عامل تهدئة للتوترات الدولية. وستترسخ روح السلام في الشعوب إذا ترسخ لديها الشعور بأنها تساهم في

المبادلات الاقتصادية العالمية، وأنها ليست فقط في موقع المتفرّج أو الضحية. وستنتشر روح السلام بقدر ما يتبدّد الشعور بأنه غالباً ما توجد ازدواجية في المعايير.

كلّ هذه الجروح يلهبها ويستغلّها الإرهاب الذي لا يبرّره شيء إطلاقاً. لذا يجب محاربته بكلّ الوسائل، بما في ذلك النموّ الاقتصادي وحوار الثقافات. كذلك إنّ التوصّل الى حلّ حقيقي للنزاع الإسرائيلي الفلسطيني، الذي يتسبّب بالكثير من عدم الفهم والاحباط والألم، من شأنه أن يبدّد الى حدّ بعيد الشعور بالظلم.

إن شعبينا فخوران كلّ بتاريخه وهويّته. ولا يمكن لأحد أن يقبل بأن يُملى عليه سلوكه أو مستقبله مع الاستخفاف بجذوره. وهذا هو الخطر الذي تنطوي عليه العولمة : إنّ رفضها عن طريق التحصّن ضدّ سير الزمن يعني الانقطاع عن العالم، والخضوع لها دون قيد يعني التخلّي عن الهوية.

هناك طريق آخر، وهو الذي تحاول فرنسا ومصر رسمه : إنه يقضي بقبول العالم على حقيقته، مع تأكيد الذات فيه بكلّ استقلالية. من هنا أهميّة أن نَبرَعَ بكلّ ما يصنع قوّة الأمم الحديثة، أي اقتصاد المعرفة والانفتاح على المبادلات الدولية. وهذا الطريق يعني أيضا أن نقترح على الشعوب الأخرى العمل سوية لبناء عالم متناسق برعاية الأمم المتحدة، باسم القيم العالمية التي يرتكز عليها ميثاقها، وباحترام روح المساواة السيادية بين الدول. هكذا ومع تكريس احترام كلّ الشعوب، ستجني البشرية أفضل فوائد العولمة.

ما برحت مصر وفرنسا طيلة تاريخهما المشترك تدفعان بهذه القناعات. وهما تساهمان في مغامرة الفرانكوفونية العظيمة، هذا الفضاء المتميّز لحوار الثقافات، ومحرّك التنوّع. والجامعة الفرنسية في مصر تجسيد جديد لهذه الإرادة المشتركة. يجمعنا نفس الطموح الأوروبي المتوسّطي الذي يفرد مكاناً مميّزاً للتربية. ولقد نوقش أثناء مؤتمر برشلونة مشروع تحالف للحضارات. أنا أنادي بأن تثبت هذه الجامعة نفسها على أنها المؤسّسة الرمز لمثل هذا التحالف، وأن تكون أيضاً شهادة حيّة لجميع الشعوب على قوة الحوار في مواجهة الميل العقيم والهدّام إلى الانطواء والظلامية، وإشارة بيّنة عن ثقتنا المشتركة بعالم ينعم بالسلام، بعالم أكثر عدالة.

شكرا لكم.